تحليل نص تاريخي عن الدولة المرداسية لأبي الفدا من ٣٩٦ ـ ٤٧٢ هـ

د.عدنان عياش*

*مشرف أكاديمي/ أستاذ مشارك/ منطقة سلفيت التعليمية/ جامعة القدس المفتوحة.

ملخص:

الدولة المرداسية دولة عربية، أسسها صالح بن مرداس على المذهب الشيعي الإمامي الإثنى عشري، تأسست في حلب عام ٤١٧هـ، وقد حكمها ستة أمراء غير صالح بن مرداس، وهم: نصر بن صالح وثمال بن صالح ومحمود بن نصر بن صالح وعطية بن صالح ونصر بن محمود بن نصر بن صالح و سابق بن محمود بن نصر بن صالح بن مرداس.

كانت الدولة المرداسية في حلب، دولة حدودية تتوسط العباسيين والفاطميين والبيزنطيين، ولذلك فقد تأثرت كثيراً بكل ما كان يجري في تلك الفترة من أحداث، ووقائع وحروب.

لقد أدت الدولة المرداسية دوراً مهماً في محاربة البيزنطيين في مراحل قوتها، ولكنها حينما دب الضعف فيها، وصار حكامها لا همٌ لهم إلا الحفاظ على ما تحت أيديهم، صارت تابعة لكل من أراد لها أن تتبعه، وصارت تدفع الإتاوات للبيزنطيين والفاطميين، ومن بعدهم للسلاجقة حتى قضوا عليها.

Abstract:

Almirdasi State is an Arab state which was established by Saleh Bin Mirdas in Aleppo in 417 Higri according to the Shiite doctrine. It was then rules by six princes in addition to Saleh Bin Mirdas. These were Naser bin Saleh, Thamal bin Saleh, Mahmoud Bin Nasr Bin Saleh, Sabeq bin Mahmoud bin Nasr bin Saleh bin Mirdas, Attiya bin Saleh, Nasr bin Mahmoud bin Nasr bin Saleh.

The Mirdasi state in Aleppo was a frontier state which is situated in the middle position of the Abbasids, Alvatmyinn and the Byzantine. Thus, it was greatly affected by the wars that happened during that period.

The Mirdasi state also played a vital role in fighting the Byzantine once it was strong but when it was weakened during the rules of some princes who were interested only in keeping their rule, it became subsidary to the surrounding states. It even paid money to the Byzantine and Alvatmyinn and later to the Seljuks.

مقدمة:

النص المقترح: مأخوذ من كتاب المختصر في أخبار البشر (الجزء الثاني من صفحة ١٤٠- صفحة١٤٢) لعماد الدين إسماعيل أبي الفدا صاحب حماة المؤرخ المشهور، (هو إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد بن عمر بن شاه شاه بن أيوب ابن شادي) . ولد أبو الفدا عام (٦٧٢هـ ١٢٧٣م) في دمشق حينما فرت عائلته من حماه إثر إحاطة المغول بها، وهو من سلالة الأيوبيين وثالث أخوته، كُني منذ صغره بأبي الفدا ولقب بعماد الدين، وبدأ حياته في حماه بعد عودة أمه وهو في شهوره الأولى، ثم انطلق إلى الدراسة والثقافة والاطلاع والممارسة والتدريب على فنون القتال والقنص والفروسية، حفظ القرآن الكريم مبكراً مع عدد من كتب التراث، واشتغل في العلوم، وتفنن في جمع أشتات كثير منها. حين انتهى حكم الأيوبيين في حماه (٦٩٨هـ ١٢٩٨م)، بدأ سعي أبي الفدا الحثيث لاسترجاع حكم الأيوبيين، حتى تم له ذلك عام٧١٠) هـ (١٣١٠م) وصار أبو الفدا نائباً للسلطان فيها، وبعد عامين غدا ملكاً، وبعد ثمانية أعوام أصبح سلطاناً، واستمر كذلك حتى عام (٧٣٢هـ ١٣٣١م) . ولعل من أبرز المنشآت التي خلفها أبو الفدا في عاصمة ملكه ماه جامع الدهيشة وهو جامع أبي الفدا نفسه ويقع في محلة باب الجسر على الضفة الشمالية لنهر العاصي، وكان البناء في عام (٧٢٧هـ ١٣٢٦م) وشيَّد أبو الفدا ضريحاً له شمالي جامعه، وشيد فوقه قبة وبجانبها مأذنة مثمنة، وحين سُئل عن بناء الضريح أجاب: ما أظن أني أستكمل من العمر ٦٠ سنة فما في أهلي من استكملها، وتحقق ما جال في خاطر أبي الفدا وحدسه، إذ ودع الحياة في الثالث والعشرين من المحرم عام (٧٣٢هـ الموافق لـ ٢٧ تشرين الأول عام ١٣٣١م)، ولما يكمل الـ٦٠ من عمره ودفن في ضريحه الذي أعدهً لنفسه قبل موته بـٍ ٥ أعوام والذي كتب على جانبه الغربي ثلاثة أسطر نافرة: هذا ضريح العبد الفقير إلى رحمة ربه الكريم إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد بن عمر بن شاه شاه ابن أيوب عُمرَ في شهور سنة ٧٢٧.لقد كان أبو الفدا صاحب حماه رجلاً متكاملاً كان جامعاً أشتات العلوم وقد صنف في كل علم تصنيفاً أو تصانيف ومن هذا خَلَفَ للمكتبة العربية بخاصة والإنسانية بعامة ١٢ كتاباً طبع منها ٣ نالت شهرة عالمية كبيرة وأولها: كتاب المختصر في أخبار البشر في التاريخ، وثانيها: كتاب تقويم البلدان في الجغرافيا طبع طبعات عدة في أوروبا، وسمي جغرافية أبي الفدا. ومن خلال هذين الكتابين غدا أبو الفدا واحداً من أعاظم رجال التاريخ والجغرافيا في تاريخنا العربي والتاريخ الإنساني، فظهرت عشرات الدراسات والأبحاث الأكاديمية في روسيا وفرنسا وانجلترا وبلجيكا وإيطاليا وغيرها عن علم أبي الفدا وأبحاثه العظيمة في الجغرافيا والتاريخ والفلك .

النص المختار: يغطي الفترة من سنة ثلاثمائة وتسع وتسعين إلى سنة أربعمائة واثنتين وسبعين للهجرة، ويمكن اعتبار هذه الفترة وحدة تاريخية كاملة.

أما أسلوب النص فتتوزع فيه الحوادث حسب التسلسلين المكاني والزماني طبقا للطريقة التي جاء بها المؤلف لهذا النص.

أما المنهج المتبع في تحليل النص فسيكون قراءات تحليلية للمصادر (القليلة) التي عثر عليها الباحث، والتي تطرقت للموضوع المقترح.

النص:

((لما توفي أبو المعالي بعد الدولة أقيم (أبو الفضائل) ولد سعد الدولة مكان أبيه، وقام بتدبيره لولو أحد موالي سعد الدولة ثم استولى (أبو النصر) ابن لولو المذكور على أبي الفضائل ابن سعد الدولة، وأخذ منه حلب واستولى عليها، وخطب للحاكم العلوي بها، ولقب الحاكم أبا نصر بن لولو المذكور مرتضى الدولة واستقر في ملك حلب، وجرى بينه وبين صالح بن مرداس الكلابي أمير بني كلاب وحشة، وحتى قصص يطول شرحها، وكانت الحرب بينهم سجالا، وكان لأبي لولو غلام اسمه فتح، وكان دزدار قلعة حلب، فجرى بينه وبين أستاذه ابن لولو وحشة في الباطن، عصى فتح المذكور في قلعة حلب على أستاذه واستولى عليها، وكاتب فتح المذكور الحاكم العلوي بمصر، ثم أخذ فتح من الحاكم صيدا وبيروت، وسلم حلب إلى نواب الحاكم، فسار مولاه ابن لولو إلى أنطاكية، وهي للروم فأقام معهم بها، وتنقلت حلب بأيدي نواب الحاكم حتى صارت بيد إنسان من الحمدانية يعرف بعزيز الملك، وبقي المذكور نائب الحاكم بحلب حتى قتل الحاكم وولى الظاهر لإعزاز دين الله العلوي فتولى من جهة الظاهر العلوي المذكور على مدينة حلب إنسان يعرف بابن ثعبان، وولى القلعة خادم يعرف بموصوف، فقصدها صالح بن مرداس أمير بني كلاب، فسلم إليه أهل البلد مدينة حلب لسوء سيرة المصريين فيهم، وصعد ابن ثعبان إلى القلعة، وحصرها صالح بن مرداس، فسلمت إليه قلعة حلب أيضا من سنة أربع عشرة وأربعمائة، واستقر صالح مالكا لحلب، وملك معها من بعلبك إلى عانة، وأقام صالح بن مرداس بحلب مالكا لما ذكر ست سنين، فلما كانت سنة عشرين وأربعمائة جهز الظاهر العلوي جيشا لقتال صالح المذكور ولقتال حسان أمير بني طيء، وكان قد استولى حسان المذكور على الرملة، وتلك البلاد، وكان مقدم عسكر المصريين اسمه أنوش شكين فاتفق صالح وحسان على قتال أنوش شكين، وسار صالح من حلب إلى حسان واجتمعا على الأرض عند طبرية ووقع بينهم القتال فقتل صالح بن مرداس وولده الأصغر، ونفذ رأساهما إلى مصر، ونجا ولده أبو الكامل نصر بن صالح بن مرداس، وسار إلى حلب فملكها، وكان لقب أبي كامل المذكور

(شبل الدولة) ، وبقي شبل الدولة بن صالح مالكاً لحلب إلى سنة تسع وعشرين وأربعمائة، وذلك في أيام المستنصر بالله العلوي صاحب مصر، فجهزت العساكر من مصر إلى شبل الدولة، ومقدمهم رجل يقال له الدزْبري بكسر الدال المهملة وسكون الزاي المعجمة وباء موحدة وراء مهملة ويا مثناه من تحت وهو أنوش تكين المذكور، وكان يلقب الدزْبري نقلت ذلك من تاريخ ابن خلكان فاقتتلوا مع شبل الدولة عند حماة في شعبان سنة تسع وعشرين وأربعمائة، فقتل شبل الدولة، وملك الدزبري حلب في رمضان من السنة المذكورة، وملك الشام جميعه، وعظم شأن الدزبري، وكثر ماله وتوفي الدزبري بحلب سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة على ما سنذكره إن شاء الله تعالى، وكان لصالح بن مرداس ولد بالرحبة يقال له أبو علوان ثمال ولقبه معز الدولة فلما بلغه وفاة الدزبري سار ثمال، بن صالح المذكور إلى حلب وملك مدينة حلب، ثم ملك قلعتها في صفر سنة أربع وثلاثين وأربعمائة، وبقي معز الدولة ثمال بن صالح المذكور مالكاً لحلب إلى سنة أربعين وأربعمائة، فأرسل إليه المصريون جيشاً فهزمهم ثمال ثم أرسلوا إليه جيشاً آخر فهزمهم ثمال أيضا، ثم صالح ثمال المذكور المصريين، ونزل لهم عن حلب فأرسل المصريون رجلا من أصحابهم يقال له الحسن بن علي بن ملهم ولقبوه (مكين الدولة) ، فتسلم حلب من ثمال بن صالح بن مرداس في سنة تسع وأربعين وأربعمائة وسار ثمال إلى مصر وسار أخوه عطية بن صالح بن مرداس إلى الرحبة، وكان لنصر الملقب بشبل الدولة الذي قتل في حرب الدزبري ولد يقال له محمود، فكاتبه أهل حلب وخرجوا من طاعة ابن ملهم فوصل إليهم محمود واتفق معه أهل حلب وحصروا ابن ملهم في جمادي الآخرة من سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة فجهز المصريون جيشا لنصرة ابن ملهم، فلما قاربوا حلب رحل محمود عنها هارباً، وقبض ابن ملهم على جماعة من أهل حلب وأخذ أموالهم ثم سار العسكر في إثر محمود بن نصر بن صالح المذكور، فاقتتلوا وانتصر محمود، وهزمهم ثم عاد محمود إلى حلب فحاصرها وملك المدينة والقلعة في شعبان سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة وأطلق ابن ملهم ومقدم الجيش وهو ناصر الدولة من والد ناصر الدولة ابن حمدان، فسارا إلى مصر، واستقر محمود ابن شبل الدولة نصر بن صالح بن مرداس مالكاً لحلب، ولما وصل ابن ملهم وناصر الدولة إلى مصر، وكان ثمال ابن صالح بن مرداس قد سار إلى مصر كما ذكرنا جهز المصريون ثمال بن صالح بجيش لقتال ابن أخيه محمود بن شبل الدولة فسار ثمال بن صالح إلى حلب، وهزم محمود ابن أخيه وتسلم ثمال بن صالح بن مرداس حلب في ربيع الأول من سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة، ثم توفي ثمال في حلب سنة أربع وخمسين وأربعمائة في ذي القعدة، وأوصى بحلب لأخيه عطية الذي كان سار إلى الرحبة كما ذكرنا فسار عطية من الرحبة، وملك حلب في السنة المذكورة، وكان محمود بن شبل الدولة لما هرب من عمه ثمال من

حلب سار إلى حران، فلما مات ثمال وملك أخوه عطية حلب جمع محمود عسكراً، وسار إلى حلب، فهزم عمه عطية عنها، وسار عطية إلى الرقة فملكها، ثم أخذت منه فسار عطية إلى الروم وأقام بالقسطنطينية حتى مات بها، وملك محمود بن نصر بن صالح بن مرداس حلب في أواخر سنة ستين، ومات محمود المذكور في ذي الحجة سنة ثمان وستين وأربعمائة في حلب، وهو مالك لها، وملك حلب بعده ابنه نصر بن محمود بن صالح بن مرداس ثم قتل التركمان نصر المذكور على ما سنذكره إن شاء الله تعالى في سنة تسع وستين وأربعمائة، وملك حلب بعده أخوه سابق بن محمود المذكور مالكا لحلب إلى سنة اثنتين وسبعين وأربعمائة، وأخذ حلب منه شرف الدولة (مسلم) ابن قريش صاحب الموصل.

الدولة المرداسية والمؤرخون المعاصرون:

نشأتها:

ما كادت إمارة الحمدانيين تضعف حتى بدأ نجم إمارة عربية ثانية، وهي إمارة بني مرداس الكلابيين، الذين ينتسبون إلى بني كلاب وهم قيسيون .[١]

«ويعد بنو كلاب من أشد العرب قوة وأكثرهم عدداً... وقد ازداد نفوذهم في عهد الدولة الإخشيدية، إذ إن محمد بن طغج الإخشيد، قلد أحمد بن سعيد الكلابي شيخ قبيلة بني كلاب حلب، فاستدعى هذا أنصاره وأقرباءه إليه، فازداد الكلابيون في المنطقة وزاد نفوذهم»[٢].

كان بروز المرداسيين وتأسيس إمارتهم جزءاً من حركة شاملة للقبائل العربية التي توسعت في حضورها ونفوذها في بلاد الشام، في مرحلة ضعف السلطة المركزية الإسلامية. ولقد نشأ تحالف ضم أبرز رموز القبائل العربية في بلاد الشام، وكان غرضه السيطرة على هذه البلاد وإقامة إمارات مستقلة. يروي ابن العديم أنه في العام ٤١٥هـ (١٠٢٤م) «حالف أبو علي صالح بن مرداس بن إدريس الكلابي سنان بن عليان الكلبي وحسّان بن المفرج بن الجراح الطائي على الظاهر (الظاهر أبو الحسين علي، الحاكم الفاطمي) ، وتحالفوا على احتواء الشام، وتقاسموا البلاد. فتكون فلسطين وما برسمها لحسّان، ودمشق وما ينسب إليها لسنان، وحلب وما معها لصالح. فأنفذ الظاهر إلى فلسطين أنوشتكين الدزبري [٣] والياً، فاجتمع الأمراء الثلاثة على حربه، فهزموه إلى عسقلان»[٤].

ويذكر الأنطاكي هذه المحالفة، ويعود بها إلى زمن أسبق من العام ٤١٥هـ/ ١٠٢٤م، بقوله، في أخبار العام ٤١٥هـ: «إن أمراء عرب الشام، وهم يومئذ: حسّان بن المفرج بن

الجراح أمير الطائيين، وصالح بن مرداس أمير الكلابيين، وسنان بن عليان أمير الكلبيين، تواطئوا وجددوا حلفاً بينهم على حال كانوا عليها قرروها بينهم في أيام الحاكم، وفي أول أيام الظاهر، ورجعوا عنها. وهي أنهم يتعاضدون ويتفقون على الاحتواء على جميع أعمال الشام وحلب، ويتوزعون البلاد...»[٥] ولقد أسفرت هذه المحالفة عن سيطرة بني مرداس على مناطق حلب وعلى قسم كبير من لبنان، بما في ذلك عكار. ففي العام ٤١٦هـ (١٠٢٥م) «ملك صالح بن مرداس حمص وبعلبك وصيدا وحصن بن عكار (في ناحية طرابلس) مع ما كان في يده من المناطق»، وفي سنة ٤١٧هـ سيطر صالح بن مرداس على حلب، وقد انتزعها من أيد الفاطميين انتزاعاً كما يقول بذلك ابن كثير في تاريخه[٦]، وبذلك تأسست الإمارة المرداسية على يد صالح بن مرداس.

ومن الملاحظ أن المرداسيين استغلوا الأوضاع التي كانت سائدة في ذلك الحين لإقامة دولتهم، بل كان لهم يد فيها كإثارة القلاقل والثورات التي كانت تقوم بها القبائل ضد الولاة والنواب في تلك المناطق، ومن ثم استغلال تلك الحوادث والاستفادة منها في تحقيق المكاسب على الأرض من حيث السيطرة وتوسيع مناطق النفوذ، ومن ثم إقامة التحالفات لمواجهة السلطة المركزية والاستقلال عنها.

كما أدَّى الضعف والتشرذم في كيان الدولة الحمدانية دورا مهماً في تهيئة المناخ المناسب للمرداسيين للسيطرة على حلب، وعلى شمال الشام فيما بعد، وخاصة أن قبيلة كلاب التي ينتمي إليها المرداسيون هي أكبر القبائل العربية المتواجدة في تلك المناطق وأقواها، مما جعل القرماني يصف بني مرداس بأنهم أهل القوة والبأس[٧].

من هم أمراء الدولة المرداسية:

بنو مرداس أو المرداسيون عشيرة من عشائر كلاب بن ربيعة، من بطون بني عامر بن صعصعة إحدى عمائر قبيلة هوازن... من قيس (عيلان) ... من عرب الشمال الحجازية، الذين ينحدرون من صلب نزار بن معد بن عدنان.[٨] وهناك من يقول: «بأنهم ينتسبون إلى بني كلاب. وبنو كلاب هؤلاء بطن من ربيعة بن عامر بن صعصعة ابن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن خصفة بن قيس. أي إنهم من العرب المضربين».[٩]

أما عن قدومهم إلى بلاد الشام فيقول ابن العديم، في تاريخه، إن جماعة من بني كلاب رحلت إلى الشام، في نهاية العهد الإخشيدي وبداية العهد الحمداني، وأن محمد بن طغج الإخشيد [١٠]قد أقام أبا العباس أحمد بن سعيد الكلابي [١١]واليا على حلب سنة ٣٢٥هـ.[١٢]

على أن وصول بني كلاب إلى بلاد الشام كان قبل عهد الإخشيد، فقد وصلوا إليها منذ الفتوحات الإسلامية، ثم توالى وصولهم منذ بداية العصر العباسي لا سيما أيام المأمون. ثم كان إقبالهم الكبير في أوائل القرن الرابع الهجري، وإقامة إمارتهم في حلب.

وكلاب التي ينتمي إليها المرداسيون هي القبيلة العربية التي نزلت ضفاف الفرات والجزيرة. وهي كلاب بن ربيعة، بطن عظيم من عامر بن صعصعة من قيس عيلان من العدنانية.وكان الكلابيون مادة الدولة المرداسية وركيزتها، منهم تستمد القوة وعليهم تعول في الشدائد.

وعاش بنو كلاب قرابة قرن في بلاد الشام قبل إقامة دولتهم، واستطاعوا بفضل كثرتهم العددية أن يفرضوا إرادتهم في منطقة حلب، كما خلقوا لأنفسهم المناخ المناسب لإقامة إمارتهم وسط القوى المتصارعة في ذلك الوقت. وهم كانوا انتقلوا من المدينة (يثرب) في الحجاز، واتجهوا شمالاً، فسكنوا في غرب الضفة العليا لنهر الفرات، وذلك مع هجرات القبائل العربية منذ القرن السابع الميلادي.[١٣] ويقول عنهم القلقشندي في كتابه «صبح الأعشى»بأنهم كانوا عرب أطراف حلب، وكانت لهم غزوات وغارات عظيمة على الروم وإنهم من أشد العرب بأسا[١٤]. أما القرماني فيصفهم بأنهم أهل القوة والبأس[١٥]،وهذا كله راجع إلى مدى القوة التي كانت عندهم والمكانة التي كانوا يحتلونها بين قبائل تلك المنطقة.

القوى الإقليمية وعلاقتها بالدولة المرداسية:

بعد موت سيف الدولة الحمداني أمير حلب اضطربت الأحوال السياسية في حلب وسوريا الشمالية على وجه العموم نظراً لعدم تمكن أحد من خلفائه من حسم الأمور لصالحه، وبالتالي تأمين الاستقرار، ويبدو أن ذلك عائد إلى الصراع بين بني حمدان الذين جاؤوا بعده بسبب كثرة الطامعين بالبلاد من خارج الحدود، وتأتي على رأس تلك القوى الطامعة، القوى العظمى في ذلك العصر وهي: الخلافة الفاطمية بالقاهرة والخلافة العباسية ببغداد والإمبراطورية البيزنطية في بيزنطة[١٦].

فالدولة الفاطمية ومقرها القاهرة كانت ترى في حلب وشمال الشام منطقة حيوية لها، وامتدادا استراتيجيا لحدودها آنذاك، وبالتالي فإنها لم تكن تنظر بعين الرضا إلى أي استقلال أو أي سيطرة من قوة أخرى على حلب، وخاصة من القوى الكبرى الأخرى آنذاك: العباسية والبيزنطية. تعود علاقة الفاطميين بحلب إلى عهد الدولة الحمدانية خاصة بعد موت سيف الدولة، وبعد سقوطها ظلت الخلافة الفاطمية تتطلع إلى السيطرة على حلب وشمال سورية لمواجهة الخلافة العباسية في بغداد ونفوذها في الشام الجزيرة، وكذلك

الإمبراطورية البيزنطية التي ساعدت أمراء العرب على نبذ طاعتها، أي طاعة الخلافة الفاطمية وتقسيم بلاد الشام بموجب حلف تم بينهم، فكانت فلسطين لحسان بن المفرج بن دغفل بن الجراح أمير طي، وكانت دمشق لسنان بن عليان أمير كلب، وكانت حلب لصالح بن مرداس أمير كلاب، إذ تمكن الأخير عام ٤١٤ هجري /١٠٢٣ ميلادي من أخذ حلب من يد الفاطميين بعد حصار طويل لقلعتها وظل يحكمها دون منازع حتى عام ٤٢٠ هجري/١٠٢٩ ميلادي.(١٧) لم ينظر الفاطميون بعين الرضا لحلف الأمراء العرب، وذلك لأنه قام على تقليص سلطتهم في بلاد الشام فباشروا من أجل عودتهم إلى حلب وبلاد الشام ممارسة سياسية ذات اتجاهين: مهادنة البيزنطيين واصطناع آل رافع الكلبيين، فقد قام الخليفة الظاهر بإبرام صلح مع البيزنطيين في عهد قسطنطين الثامن كان من أهم بنوده أن يتوقف الفاطميون عن تهديد حلب لتستمر في دفع الجزية السنوية للبيزنطيين، وفي مقابل ذلك تعهد هؤلاء بعدم تقديم المساعدة لحسان الطائي وظل هذا الاتفاق صامداً حتى عام ٤٢٠ هجري/١٠٢٩ ميلادي حين قام الخليفة الظاهر الذي عقد هذا الاتفاق مع البيزنطيين بعد وفاة قسطنطين الثامن بإرسال جيش كبير تمكن من كسر جيوش تحالف الأمراء العرب المار ذكره في موقعة الأقحوانة بالقرب من طبرية عام ٤٢٠ هجري/١٠٢٩ ميلادي فقتل صالح وولده الأصغر، وفر ولده نصر إلى حلب، ولجأ حسان إلى الدولة البيزنطية على الرغم من انتصار الفاطميين في هذه الموقعة فإنهم لم يتمكنوا من القضاء على المرداسيين، أو أخذ حلب من يدهم، وفي الوقت نفسه أثاروا حفيظة البيزنطيين لأنهم نقضوا الاتفاقية التي كانت بينهم من جهة واقتربوا من منطقة نفوذهم وحدودهم الجنوبية، من جهة أخرى اقتسم الحكم بحلب في هذه الفترة ابنا صالح بن مرداس وهما شبل الدولة أبو كامل نصر وحكم المدينة ومقر الدولة أبو علوان ثمال وحكم في القلعة. في هذه الفترة اشتد الضغط البيزنطي على الدولة المرداسية، وقد أدى ذلك إلى توقيع اتفاقية بين المرداسيين والبيزنطيين على قاعدة التبعية عام ٤٢٢هجري/١٠٣١ ميلادي على نحو ما سنرى عند الحديث على العلاقة المرداسية – البيزنطية.(١٨) لم ترض بنود هذه الاتفاقية الدولة الفاطمية لإتاحتها الفرصة للبيزنطيين بتدعيم سلطتهم في شمال سوريا، وقد حاول الأمير المرداسي شرح وجهة نظره للخليفة الفاطمي، فأرسل إلى القاهرة رسولاً من قبله هو شيخ الدولة أبو الحسن ابن الأيسر بعد أن حمله هدايا إلى الخليفة الفاطمي مما غنمه المرداسيون من البيزنطيين شملت الثياب والحلي والأواني وغيرها، إلا أن الخليفة أهمل الرسول، فأقام هذا في القاهرة ينتظر المقابلة مدة خمسة أعوام ومات الخليفة ولم يستقبله. وتغيرت الأوضاع السياسية وأسفرت عن طرد المرداسيين المقيم البيزنطي بحلب عام ٤٢٢ هجري/١٠٣٥ ميلادي، وعندما حاول دوق إنطاكية إعادة حلب إلى التبعية تصدى له الأمير نصر المرداسي وكسره وطارده، وبذلك

تحقق لإمارة حلب الاستقلال التام.[١٩] لقيت عملية طرد المقيم البيزنطي من حلب هوى في نفس الفاطميين فقام الخليفة الفاطمي الجديد المستنصر باستقبال الرسول المنسي رسول نصر الأيسر بناء على تنسيب من وزيره الجر جرائي، وخلع عليه وسير معه خلعاً وتوقيعاً للأمير المرداسي ولقبه بخمسة ألقاب هي: مختص الأمراء خاصة الإمامة، شمس الدولة ومجدها، وذو العزيمتين إضافة إلى لقب شبل الدولة كل ذلك رغبة في احتواء حلب، وملء الفراغ الذي نشأ عن طرد البيزنطيين.[٢٠]

وبعد ثلاث سنوات من طرد البيزنطيين، ومحاولة الفاطميين الحلول مكانهم اتفق الطرفان عام ٤٢٩ هجري/١٠٢٨ ميلادي على عقد هدنة بينهما لم يتمسك البيزنطيون فيها بالشرط الذي تمسكوا به في اتفاقية عام ٤١٨ هجري/١٠٢٧ ميلادي، والذي كان ينص على أن لا يتعرض الفاطميون لحلب، وبذلك تخلوا عن مطامعهم بحلب، وسنحت الفرصة للفاطميين لاستعادة سيطرتهم على حلب، ومن أجل ذلك قام نائب الفاطميين أنوشتكين الدزبري[٢١] نائب الفاطميين ببلاد الشام بمكاتبة الإمبراطور البيزنطي يستأذنه في حرب نصر المرداسي فأذن له. التقى الدزبري بنصر عند بلدة السلمية[٢٢] ثم عند تل فاس غربي بلدة لطمين[٢٣] عام ٤٢٩ هجري / ١٠٣٨ ميلادي. حيث سقط نصر عن جواده وقتل، ونقل إلى حماه حيث دفن بجامعها الكبير إلى أن نقله ابن عمه مقلد بن كامل إلى قلعة حلب نحو ٤٤٠ هجري / ١٠٤٨ ميلادي. بعد موقعة تل فاس هذه عاد ثمال أخو نصر إلى حلب وتجمع أهله حوله للدفاع عن مدينتهم ضد جيش الدزبري، وتقرب هو من أهلها فسدد الديون التي كان أخوه نصر قد استدانها ولاطف كبار تجارها، إلا أنه لم يأمن غدرهم، فقرر مغادرة المدينة تاركاً ابن عمه مقلد بن كامل على القلعة وخليفة بن جابر الكعبي على المدينة، ولم يمض على حكمه بحلب سوى شهر واحد، وتوجه إلى الرحبة التي كان يتولاها من قبل أخيه نصر، وبعد رحيله عن حلب تقدمت جيوش الدزبري على حلب، وتسلم حلب وقلعتها باتفاق الطرفين، وبذلك عادت حلب للمرة الثانية إلى تبعية نائب الفاطميين بالشام.[٢٤] استقر ثمال بالرحبة وأخذ يمهد الطريق لاستعادة إمارته في حلب وقوى صلاته بالقبائل العربية في بلاد الشام والجزيرة عن طريق الزواج فتزوج علوية بنت وثاب النميري التي كانت زوجة لأخيه نصر، والتي ورثت حكم الرافقة بجوار الرقة (هي الآن ضمن الرقة) بعد وفاة أخيها، وأتبع ذلك بزواج آخر من أرملة شيب بن وثاب، وبذلك أصبحت الرحبة والرافقة والرقة في حكم ثمال .[٢٥]

لكن هذه الحركات لم تكن غائبة عن الدزبري فقاومها بأعمال شبيهة، حيث تزوج بنت صاحب ميافارقين وديار بكر، كما قام بشراء قلعة جعبر القريبة من الرقة، وبذلك أصبح ثمال محصوراً من الشمال الشرقي والغرب، وفي محاولة فك الحصار طلب عون الإمبراطور

البيزنطي الذي وعده بالمساعدة، فقام هذا من أجل تخفيف الضغط على ثمال بمهاجمة حماه، مما أشغل الدزبري عن ثمال. (٢٦)

ويظهر أن الدزبري قام بتلك الأعمال دون علم الخليفة الفاطمي، مما أثار الشك في نفسه وخاف من ازدياد نفوذ الدزبري وتعاظم سلطانه لا سيما وأنه كان يتباطأ في تنفيذ أوامر الخلافة بمصر، بل أنه أحياناً كان لا ينفذها،وعندما تأكد للخلافة الفاطمية نية الدزبري عملت على التخلص منه، فكتب الخليفة الفاطمي لثمال توقيعاً بحلب شرط أن يحمل ما بقلعتها من الأموال إليه(٢٧). ولم يطل أمر الدزبري فثار عليه جند دمشق، ففر إلى بعلبك ثم حماه وبعدها حلب، إلا أن القدر لم يمهله فتوفى فيها بالفالج عام ٤٣٣ هجري/ ١٠٤٢ميلادي. عاد ثمال إلى مقر إمارته بحلب في ظل التبعية الفاطمية، ولكنه بعد أن استقر في حلب ووطد الأمن فيها، لم يلتزم بإرسال ما اشترطه الخليفة الفاطمي من إرسال جميع ما بقلعة حلب من الأموال إلى مصر، فقد قام باجتزاء مبلغ كبير من الأموال بحجة عمارة القلعة وتعويض ما هلك من الأسلحة، وما نفذ من العدد وعندما علم المستنصر بالأمر تغير عليه، ومع أن الوزير فخر الملك أبا المنصور صدقه بن يوسف الفلاحي حاول التقليل من أهمية الحدث، وإصلاح ذات البين بين أمير حلب المرداسي والخليفة الفاطمي، إلا أن ثمال لم يوصل ما انقطع إلا بعد عامين فعدَّ ذلك عصياناً من ثمال يستوجب التأديب عليه من وجهة نظر المستنصر الفاطمي. ومن أجل ذلك سعى لقطع الطريق عليه إذا ما حاول الاستنجاد بالبيزنطيين، فقام بتجديد الهدنة التي وقعها معهم وتبادل معهم الهدايا الثمينة، وذلك عام ٤٣٩ هجري / ١٠٤٧ ميلادي. وفي السنة التالية صدرت أوامر الخليفة الفاطمي إلى نائبه بدمشق ناصر الدولة الحسن بن الحسين الحمداني بالسير إلى حلب لحرب ثمال، ولكنه هزم وعاد إلى دمشق بعد أن تخلى لثمال عن حماه وحمص، وبذلك عادت حدود الإمارة المرداسية إلى سابق عهدها (٢٨).

أثارت هزيمة ناصر الدولة الحمداني غضب المستنصر، فعزله وولى مكانه بهاء الدولة طارق الصقلبي، وأنفذ أمير جيشه عدة الدولة أبو الفضل رفق الخادم عام ٤٤١ هجري/١٠٤٩ ميلادي لقتال المرداسيين، غير أن حظه لم يكن بأسعد من حظ ناصر الدولة، فوقع في الأسر جريحاً، وحمل إلى حلب وشهر به بأن أركب على بغل مكشوف الرأس ومعه عدد من كبار جنده، فاختلط عقله ومات بالقلعة بعد ثلاثة أيام.(٢٩)

كان للهزائم التي أوقعها المرداسيون بجيوش الفاطميين أثر كبير في إعادة تنظيم الإدارة المركزية الفاطمية بالقاهرة، فقام الخليفة بالقبض على وزيره صفي الدين الجرجرائي ونفيه إلى صور، وحمَّله مسؤولية تلك الهزائم لأنه أشار عليه بإرسال تلك

الحملات العسكرية كما أفرج عن ناصر الدولة الحمداني وألغى منصب الوزارة، واستحدث منصب (الواسطة) ، ثم ما لبث أن عاد إلى تسمية الوزارة عندما قلد قاضي القضاة أبا محمد الحسن اليازوري[٣٠] وسماه سيد الوزراء .[٣١]

وجد ثمال في تغيير الجهاز الإداري بالخلافة الفاطمية فرصته في إعادة ما انقطع فطلب ود المستنصر؛ لأنه رأى ذلك أنفع من استمرار العصيان بعد أن علم أن الفاطميين يعملون سراً لإسقاطه، فأرسل رسولاً هو شيخ الدولة علي بن أحمد الأيسر يسقط من الإتاوة المفروضة عليه، وبعض الهدايا والنفائس الجميلة وسير معه ولده (وثاب) وزوجته علوية رغبة في إثبات حسن النية، فقبل المستنصر توبة ثمال، ووقع له بحلب وسائر أعمالها[٣٢]

بدأ عام ٤٤٧ هجري / ١٠٥٥ ميلادي موقف ثمال يتحرج بسبب ظهور قوة ثالثة هي القوة السلجوقية التي كانت تحكم إلى جانب الخليفة العباسي ببغداد، وكان عليه أن يتلمس طريقه بين هذه القوى المتشاحنة المتباينة في الملة والنحلة والمصالح، وعندما قام البسا سيري[٣٣] بثورته ضد الخليفة العباسي السني أمده بالمال وتنازل له عن الرحبة، كل ذلك من أجل إرضاء الخلافة الفاطمية الشيعية. [٣٤]

عادت أطماع المرداسيين من جديد لأخذ حلب، وشجعهم على ذلك فشل حركة البسا سيري، وعندما لم يتمكن عز الدولة محمود بن نصر من أخذ حلب عندما سار إليها أثار الأحداث ضد حاكمها، فطلب ابن ملهم النجدة من القاهرة، فأنجد بجيش على رأسه ناصر الدولة الحمداني إلا أن عز الدولة محمود بن نصر تمكن عند تل السلطان من إلحاق الهزيمة بناصر الدولة وابن ملهم ووقع ناصر الدولة بالأسر مما شجع أمراء العرب على الالتفاف حول عز الدولة، وحاول ابن ملهم بذر الشقاق بين عز الدولة محمود وعمه عطية فسلم حلب لعطية إلا أن محمود جاء في اليوم نفسه الذي تسلم عطية فيه المدينة، ودخلها عام ٤٥٢ هجري / ١٠٦٠ ميلادي. [٣٥]

ويقول عبد المولى نقلاً عن المؤرخ البريطاني جب أن ذلك العام كان الميلاد الحقيقي للدولة المرداسية. [٣٦] آلمت هزيمة محمود بن نصر المرداسي لناصر الدولة المستنصر الفاطمي، ولكنه لم يكن في وضع يمكنه من الرد السريع على تلك الهزيمة لاضطراب أحوال مصر السياسية والاقتصادية، وجاءت هذه الهزيمة لتزيد الأمر تعقيداً وفي محاولة لتهدئة الأمور وإيجاد حلول لتلك الأزمة ألقى القبض على وزيره اليازوري بتهمة اتصاله بالسلاجقة أعدائه، كما تمكن من إخماد ثورة الجند، واسترضى الناس وبذلك هدأت الأحوال، بدأ يفكر بحل العقدة المرداسية فدله تفكيره على ضيفه ثمال المقيم إقامة إجبارية بالقاهرة. وثمال هذا هو عم محمود بن نصر أمير حلب الجديد الخارج على الدولة الفاطمية، فقام باسترجاع

الإقطاع الذي أقطعه إياه وقال له: (هذه حلب وقد أخذها ابن أخيك فتمضي إليها وتستعيدها منه) ، وأمده بالسلاح والمال. فسار ثمال إلى حلب وتجمع الناس حوله وهو في الطريق إليها وحاول الاستنجاد بالروم البيزنطيين فلم ينجدوه، وأخيراً تمكن ثمال من استرداد حلب بموجب صلح تم بينه وبين أخيه محمود عام ٤٥٣ هجري / ١٠٦١ ميلادي كتابع إلى الخلافة الفاطمية.[٣٧] حافظ ثمال هذه المرة وهي المرة الثالثة التي يحكم فيها كزعيم للإمارة المرداسية، والتي لم تمتد سوى سنة وتسعة أشهر على علاقة الود مع الفاطميين، لأنهم هم الذين أعانوه على استرداد إمارته، لكنه انشغل في حروب مع الروم البيزنطيين خاصة مع أنطاكية وتبادل الغارات معهم ولم يمهله القدر فمرض ومات في الأيام الأولى من ذي القعدة عام ٤٥٤ هجري / ١٠٦٢ ميلادي، ولما شعر بدنو أجله استدعى أخاه أبا ذؤابة عطية من الرحبة وعهد له بحكم حلب.[٣٨] أما عن مدينة حلب ونهاية الدولة المرداسية فيها: فتعتبر مدينة حلب الشهباء من أقدم المدن في العالم، وهي تقع في شمال غرب بلاد الشام، وكانت مركزا حضاريا وسياسيا وعلميا وأدبيا مهماً عبر التاريخ، وهي مدينة جميلة صدحت بها حناجر الشعراء أعذب الشعر الخالد في دولة بني حمدان، وبزغت فيها شمس المتنبي وأبو فراس الحمداني والصنوبري وغيرهم من أعمدة الشعر العربي.

كانت حلب تحت حكم سعد الدولة بن سيف الدولة بن حمدان إِلى أن توفي، ولما توفي ملكها أبو الفضائل ولد سعد الدولة، وقام بتدبيره لؤلؤ أحد موالي أبيه، ثم استولى أبو نصر بن لؤلؤ المذكور على أبي الفضائل ابن سعد الدولة، وأخذ منه حلب واستولى عليها وخطب للحاكم الفاطمي بها، ولقب الحاكم أبا نصر بن لولو المذكور مرتضى الدولة[٣٩].

واستقر في ملك حلب، وجرى بينه وبين صالح بن مرداس الكلابي وبني كلاب وحشة وقصص يطول شرحها، وكانت الحرب بينهم سجالاً وكان لابن لؤلؤ غلام اسمه فتح، وكان مالكا لقلعة حلب، فجرى بينه وبين أستاذه ابن لؤلؤ وحشة في الباطن حتى عصى فتح المذكور في قلعة حلب على أستاذه واستولى عليها وكاتب فتح المذكور الحاكم الفاطمي بمصر، ثم أخذ فتح من الحاكم صيدا وبيروت وسلم حلب إِلى نواب الحاكم فسار مولاه ابن لؤلؤ إِلى إنطاكية وهي للروم، فأقام معهم بها وتنقلت حلب بأيدي نواب الحاكم حتى صارت بيد إِنسان من الحمدانية يعرف بعزيز الملك، وبقي المذكور نائب الحاكم بحلب حتى قتل الحاكم وولي الظاهر الفاطمي، فتولى من جهة الظاهر المذكور على مدينة حلب إِنسان يعرف بابن ثعبان وولي القلعة خادم يعرف بموصوف فقصدهما صالح بن مرداس أمير بني كلاب، فسلم إِليه أهل البلد مدينة حلب لسوء سيرة المصريين فيهم، وصعد ابن ثعبان إِلى القلعة وحصرها صالح بن مرداس، فسلمت إِليه قلعة حلب أيضاً في

سنة ٤١٤هـ، واستقر صالح مالكاً لحلب وملك معها من بعلبك إلى عانة، وأقام صالح بن مرداس بحلب مالكاً ست سنين، فلما كان سنة ٤٢٠هـ جهز الظاهر الفاطمي جيشاً لقتال صالح بن مرداس وحلفائه من الأمراء العرب(٤٠).

وكان مقدم عسكر المصريين اسمه أنوشتكين، فاتفق صالح وحسان على قتال أنوشتكين، وسار صالح من حلب إلى حسان واجتمعا على الأردن عند طبرية، ووقع بينهم القتال فقتل صالح بن مرداس وولده الأصغر، ونفذ رأساهما إلى مصر، ونجا ولده أبو كامل نصر بن صالح بن مرداس وسار إلى حلب فملكها، وكان لقب أبي كامل المذكور شبل الدولة وبقي شبل الدولة بن صالح مالكاً لحلب إلى سنة ٤٢٩هـ وذلك في أيام المستنصر بالله الفاطمي صاحب مصر(٤١). فجهزت العساكر من مصر إلى شبل الدولة ومقدمهم أنوشتكين الدزبري، فاقتتلوا مع شبل الدولة عند حماة في شعبان ٤٢٩هـ، فقتل شبل الدولة وملك الدزبري حلب في رمضان من السنة المذكورة. وملك الشام جميعه، وعظم شأن الدزبري، وكثر ماله وتوفي الدزبري بحلب سنة ٤٣٣هـ(٤٢).

فلما بلغ ثمال بن صالح بن مرداس– وكان بالرحبة– وفاة الدزبري سار إلى حلب وملكها، ثم ملك قلعتها في صفر سنة ٤٣٤هـ وبقي معز الدولة ثمال بن صالح مالكاً لحلب إلى سنة ٤٤٠هـ، فأرسل إليه المصريون جيشاً فهزمهم ثمال، ثم أرسلوا إليه جيشاً آخر فهزمهم ثمال أيضاً، ثم صالح ثمال المصريين ونزل لهم عن حلب فأرسل المصريون رجلاً من أصحابهم يقال له الحسن بن علي بن ملهم، ولقبوه مكين الدولة، فتسلم حلب من ثمال بن صالح بن مرداس في سنة ٤٤٩هـ ، وسار ثمال إلى مصر وسار أخوه عطية بن صالح بن مرداس إلى الرحبة، وكان لنصر الملقب بشبل الدولة الذي قتل في حرب الدزبري ولد يقال له محمود، فكاتبه أهل حلب وخرجوا عن طاعة ابن ملهم، فوصل إليهم محمود واتفق معه أهل حلب، وحصروا ابن ملهم في جمادى الآخرة من سنة ٤٥٢هـ، فجهز المصريون جيشاً لنصرة ابن ملهم فلما قاربوا حلب رحل محمود عنها هارباً، وقبض ابن ملهم على جماعة من أهل حلب وأخذ أموالهم ثم سار العسكر في أثر محمود بن نصر بن صالح، فاقتتلوا وانتصر محمود وهزمهم، ثم عاد محمود إلى حلب فحاصرها وملك المدينة والقلعة في شعبان سنة ٤٥٢هـ، وأطلق ابن ملهم ومقدم الجيش وهو ناصر الدولة من ولد ناصر الدولة بن حمدان، فسار إلى مصر واستقر محمود بن شبل الدولة نصر ابن صالح بن مرداس مالكاً لحلب(٤٣).

ولما وصل ابن ملهم وناصر الدولة إلى مصر، وكان ثمال بن صالح بن مرداس قد سار إلى مصر جهز المصريون ثمال بن صالح بجيش لقتال ابن أخيه محمود بن شبل

الدولة، فسار ثمال بن صالح إلى حلب وهزم محمود ابن أخيه، وتسلم ثمال بن صالح بن مرداس حلب في ربيع الأول من سنة ٤٥٣هـ، ثم توفي ثمال في حلب سنة ٤٥٤هـ في ذي القعدة وأوصى بحلب لأخيه عطية الذي كان سار إلى الرحبة كما ذكرناه[٤٤]. فسار عطية بن صالح من الرحبة وملك حلب في السنة المذكورة وكان محمود بن شبل الدولة لما هرب من عمه ثمال من حلب، سار إلى حران فلما مات ثمال وملك أخوه عطية حلب، جمع محمود عسكراً وسار إلى حلب فهزم عمه عطية عنها، وسار عطية إلى الرقة فملكها، ثم أُخذت منه فسار عطية إلى الروم وأقام بقسطنطينية حتى مات بها.

وملك محمود بن نصر بن صالح بن مرداس حلب في أواخر سنة ٤٥٤هـ، ثم استوَلى محمود على أرتاح وأخذها من الروم في سنة٤٦٠هـ ومات محمود في ذي الحجة سنة ٤٦٨هـ في حلب مالكاً له[٤٥]. وملك حلب بعده ابنه نصر بن محمود بن نصر بن صالح بن مرداس، ثم قتل التركمان نصراً، وملك حلب بعده أخوه سابق بن محمود بن نصر بن صالح بن مرداس وبقي سابق بن محمود المذكور مالكاً لحلب سنة٤٧٢هـ وأخذ حلب منه شرف الدولة مسلم بن قريش صاحب الموصل .[٤٦] وهذه السنة كانت آخر العهد بحلب تحت حكم المرداسيين[٤٧].

وضع النص في أجوائه الزمانية والمكانية:

أول ما بدا لي حين بدأت في قراءة هذا النص، أن هذه الدولة (المرداسية) كانت محوطة بظروف صعبة جداً عاشها أهل المنطقة داخلية كانت أم خارجية،وبالرغم من الأخطاء التي ارتكبها بعض أمراء الأسرة المرداسية تجاه إخوانهم وأبناء إخوانهم وأعمامهم ،إذ إن الطمع بالحكم هو صفة تبرز من واقع الحياة وتلازم كل سلالة الأسر الحاكمة في أي زمان ومكان،لا سيما إذا دب هذا الطمع في نفوس الأخوة والأبناء وأبنائهم.

الظروف الخارجية كانت شديدة جداً على الأسرة المرداسية في حلب، وكذلك إذا أضفنا الظروف الداخلية السيئة التي تمثلت في الوحشة التي كانت تقوم كثيراً بين الغلمان الحمدانيين وأسيادهم (ابن لولو أبو نصر يستولي على أبي الفضائل بن سعد الدولة الحمداني واخذ منه حلب) ، إضافة إلى ذلك وضع العائلة المرداسية في حكم حلب بعد أن أصبحوا سادة الوضع (المنطقة) ، لكن هذا الأمر (الأمن والاستقرار) لم يستتب، إذ إن الحسد والطمع سيطرا على عقلية الأمراء المرداسيين، مما أدى إلى نشوب خلاف حاد بين الأخوة من الأمراء، وهذا أيضا لم يكن داخلياً فقط، بل كان يشتد في أكثر الأوقات ليصل إلى حدّ الاستعانة ببعض القوى السياسية من الخارج مثل الحاكم العلوي في مصر والبيزنطيين (الروم) في القسطنطينية والتركمان.

إن طمع الحكام الفاطميين في توسيع أراضي دولتهم في الشمال الشرقي، قد جعل الصدام أمرا حتميا مع المرداسيين الذين كانوا كغيرهم من أصحاب الدويلات يريدون الانفصال التام عن مركز الخلافة، وكانوا يتطلعون إلى إنشاء دولة مستقلة تخصهم وحدهم، لكن الطمع الفاطمي كان يضع الأمير (الحاكم) المرداسي في موقف سياسي وعسكري حرج، فهو إما أن يخضع لسلطة الخليفة الفاطمي، أو يستدعي أحد الجيران مثلما حصل مع صالح بن مرداس وحسان أمير بني طيء عندما اجتمعا لقتال انوش تكين قائد جيش الحاكم الفاطمي في مصر الذي حضر إلى الأردن لقتال صالح بن مرداس عند طبرية.

لقد حصل أن خضع الحاكم المرداسي للحاكم الفاطمي في مصر بعدما هزمهم ثمال بن صالح بن مرداس مرات عدة، ولكن في نهاية الأمر صالح ثمال بن صالح بن مرداس المصريين، وتنازل لهم عن حلب وسلمها إلى الحسن بن علي بن ملهم (مكين الدولة) ، ثم بعد ذلك نرى أن بعض أفراد العائلة المرداسية يذهب إلى القاهرة وبعضهم الآخر يذهب إلى الرحبة (وسار عطية بن صالح بن مرداس) إلى الرحبة بعدما قام أخوه ثمال بتسليم حكم حلب إلى ابن ملهم نائب الحاكم العلوي المصري، وقد حصل كثيراً ما كان يسترضي حكام المرداسيين الفاطميين لإبقائهم على حكم حلب، ولكنه إذا حصل وأن اختلف وضع هذا الأمر مع الأمير المرداسي نجد أن الفاطميين في مصر يرسلون أحد قادتهم للتخلص من هذا الأمير«وبقي شبل الدولة بن صالح مالكا لحلب إلى سنة تسع وعشرين وأربعمائة وذلك في أيام المستنصر بالله العلوي صاحب مصر، فجهزت العساكر من مصر إلى شبل الدولة، ومقدمهم رجل يقال له الدزبري، فقتل شبل الدولة وملك الدزبري حلب».

وبعد الإطلا ع على تاريخ الدولة المرداسية في القرن الخامس الهجري / القرن الحادي عشر الميلادي نستطيع إن نقول أن الظروف الخارجية هي التي تحكمت بمصير الحكم المرداسي أكثر من تحكم الأمراء المرداسيين أنفسهم بكيانهم السياسي « وكان لنصر الملقب بشبل الدولة الذي قتل في حرب الدزبري ولد يقال له محمود، فكاتبه أهل حلب وخرجوا عن طاعة ابن ملهم، فوصل إليهم محمود واتفق مع أهل حلب، وعزلوا ابن ملهم ثم جهز المصريون جيشا وأعادوا ابن ملهم».

وإذا انتقلنا إلى القطعة التاريخية المذكورة نرى أن القسم الإخباري منه الذي يمكن اعتباره جوهراً من جراء مركزيته في النص، والذي يتعلق بمدينة حلب وقلعتها الحصينة، ومنها انقسام الأسرة المرداسية بين مؤيد ومعارض، وكذلك تحالفات مع الحاكم العلوي في مصر وغيره من الحكام الفاطميين ضد بعض أفراد الأسرة المرداسية الذي يعد أحد العناصر المهمة في هذا النص، ثم هناك بعض النوافل التي بينها المؤلف في نصه المذكور مثل وفاة الحاكم الحمداني سعد الدولة، ومقتل صالح بن مرداس وولده الأصغر، ومقتل شبل

الدولة، وموت الحاكم العلوي، وكلها تعدُّ هامشية في النص؛ لأن النص ركز على الاستيلاء على مدينة حلب وقلعتها.

وإذا أمعنا النظر في النص الذي كتبه المؤلف أبو الفدا، نصل إلى حد معين، وهو أنه **بإمكاننا توزيع العناصر الرئيسة لهذا النص (قصة الاستيلاء على حلب على النحو الآتي)** :

- ♦ عائلة صالح بن مرداس الذين يتصدرون الموقف في غالبية مراحلها.
- ♦ الفاطميون،الحاكم العلوي، الظاهر، المستنصر ... الخ، ابن شعبان، موصوف.
- ♦ الأسرة الحمدانية وغلمانهم، فتح، ابن لولو
- ♦ الروم البيزنطيون.
- ♦ عامة الناس من أهل حلب الذين لا يمثلون الدور المهم في هذه الحوادث، بل في بعضٍ منها وبخاصة عندما طفحت مساوئ معاملة المصريين لهم.

من خلال دراستنا لهذا النص نجد ما يمكن أن نسميه أحداثا رئيسة موزعة على سنين متفرقة، لكنها تجمعها وحدة الزمان والمكان مظهرة هذه الأحداث، فكل هذه الأحداث تدور حول حدث مهم هو حكم حلبٍ وقلعتها والهجوم والاستيلاء عليها، وإلى جانب هذه الحوادث البارزة والموزعة، نجد نوعاً من المتفرقات، كأنها لاصلة لها مباشرة بالأحداث الرئيسة (وسار إلى الرحبة) ، (وانتقل إلى الرقة وملكها) .

لقد كان جل موضوعنا هذا يدور حول التنافس القائم بين أبناء صالح بن مرداس (الأخوة) ، أو أبنائهم وتحالفاتهم مع عناصر دخيلة أخرى مثل (وجهز المصريون ثمال لقتال ابن أخيه محمود شبل الدولة) للحصول على الحكم .

نلاحظ في النص أيضا ذكراً خاطفاً للتركمان المذكورين مرة واحدة في النص (وقتل التركمان نصر بن محمود) . وكذلك رف الدولة (مسلم) صاحب الموصل الذي أخذ حلب من سابق بن محمود، ثم نرى أن هناك أحداثا مهمة كانت تقع بين المرداسيين وجيرانهم البيزنطيين، (ثم استولى محمود على ارتاح، وأخذها من الروم) .

دراسة مقارنة بين روايات أبي الفدا وابن الأثير وابن كثير في النص المذكور عن الدولة المرداسية

(أبي الفدا الجزء الثاني. ابن الأثير الجزء التاسع، ابن كثير الجزء الثاني عشر)

- ♦ **أخبار صالح بن مرداس وابن محكان:**

يذكر ابن الأثير أنه كان في الرحبة رجل يعرف باسم ابن محكان فملكها، وكان يحتاج

إلى من يجعله ظهيراً وسنداً له على من يطمع به، فكاتب صالح بن مرداس الكلابي فقدم إليه، وأقام عنده مدة من الزمن، أما ابن كثير وأبو الفدا فلم يتطرقا إلى هذا الموضوع.

♦ **الاتفاق الذي جرى بين ابن محكان وصالح بن مرداس وغدر الأخير بالأول:**

قصة ابن محكان مع صالح بن مرداس والاتفاقية التي تمت بينهما، وزواج صالح من ابنة ابن محكان، وقتل ابن محكان، وسير صالح بن مرداس إلى الرحبة وملكه إياها، لم يتطرق ابن كثير وأبو الفدا إلى هذه الرواية.

♦ **قطيعة ابن لولو مع الحاكم العلوي في مصر:**

ابن الأثير يذكر أنه حصلت قطيعة بين ابن لولو مرتضى الدولة، وبين الحاكم العلوي في مصر، فطمع فيه ابن مرداس وجهز جيشاً من خمسمائة فارس ودخلوا حلب، أيضا هذه الرواية لم يذكرها أبو الفدا وابن كثير.

♦ **رواية اسر صالح بن مرداس ووضعه في السجن:**

ابن الأثير يذكر أن ابن مرداس قد اُسر مع مائة وعشرين من فرسانه، وهذه الحادثة لم تذكر في روايات ابن كثير وأبي الفدا. ويذكر ابن الأثير في تلك الرواية أيضا أن صالح بن مرداس كان قد تزوج بابنة عمه جابرة الجميلة، ولكن ابن لولو يخطبها لنفسه من إخوتها الذين كانوا أسرى لديه، ويتزوجها عنوة، ثم يذكر كذلك أن صالح بن مرداس صعد السور بعد أن بقي في الحبس مدة طويلة، ورمى بنفسه من أعلى القلعة، واختفى في سيل من الماء، وكان مقيد الأرجل والأيدي، وما أن علم ابن لولو بذلك حتى اتبع الوساق في أثره ولم يجده، إلى أن وصل قرية تعرف الياسرية فعرفه أهلها وأرسلوه إلى مرج دابق، بعد ذلك يجمع صالح ألف فارس يصعد بهم حلب فيحاصرها اثنين وثلاثين يوماً، بعدها يخرج ابن لولو إليه ويقاتله، وتكون النتيجة أسر ابن لولو، ووضع صالح بن مرداس القيود التي كانت في رجليه ويديه في المكان نفسه لابن لولو، لكن شقيق ابن لولو يستطيع أن ينجو من الأسر ويحفظ حلب، هذه الحادثة أيضا لم تذكر عند أبي الفدا وابن كثير.

♦ **رجوع ابن لولو إلى حلب:**

بعد أن دفع ابن لولو فدية كبيرة إلى صالح بن مرداس، حيث يرحل صالح بن مرداس بعدها عن حلب، تلك الحادثة لم تذكر عند أبي الفدا، ولكن مر ذكر أنه قد حدث وحشة بين فتح وأستاذه ابن لولو في الباطن، وكاتب الحاكم العلوي في مصر الذي أخذ من فتح حلب وتسلمها منه نواب الحاكم مقابل أخذه بيروت وصيدا، وهنا يتفق ابن الأثير مع أبي الفدا في هذه الرواية التي يتسلم فيها نواب الحاكم العلوي حلب، وخاصة عزيز الملك الذي يذكر ابن

الأثير أن ست الملك أخت الحاكم وضعت فراشا له لقتله فقتلته، أبو الفدا يذكر قتل الحاكم وتولية الظاهر مكانه.

♦ **حكم صالح بن مرداس لحلب:**

يذكر ابن الأثير ويشاركه أبو الفدا في ذلك أن صالح بن مرداس حكم حلب لمدة ست سنوات، وذلك أن أهل حلب سلموا المدينة إلى صالح لسوء معاملة المصريين لهم، وعلى رأسهم ابن ثعبان.

♦ **مقتل صالح بن مرداس وولده الأصغر:**

يتفق المؤرخون الثلاثة (أبو الفدا، ابن كثير وابن الأثير) إن صاحب مصر الظاهر قد جهز جيشاً بقيادة أنوش تكين البربري، فيصل بالقرب من طبرية، ويجتمع إليه صالح وحسان صاحب الرملة، وتكون النتيجة مقتل صالح وولده الأصغر ونفاذ رأسهما إلى مصر.

♦ **تسلم شبل الدولة أبو كامل نصر بن صالح بن مرداس حكم حلب:**

بعد مقتل صالح بن مرداس وولده الأصغر نجا ابنه الآخر أبو كامل نصر (شبل الدولة) من أيدي المصريين، فسار إلى حلب فملكها وبقي حاكماً لها إلى سنة ٤٢٩هـ هذه الرواية يتفق عليها المؤرخون الثلاثة.

♦ **المستنصر بالله يرسل الدزبري لقتال شبل الدولة:**

يصل الدزبري إلى حلب ويقاتل شبل الدولة ويقتله، بعدها يحكم الدزبري حلب والشام كله في رمضان سنة٤٢٩هـ، والدزبري هذا يموت بعد أن حكم حلب والشام شهراً واحداً فقط، اتفق ابن الأثير وأبو الفدا على ذلك الذي أُخذ عن ابن خلكان، لكن ابن الأثير يوضح أن الدزبري هذا قد علا شأنه وأحضر الأتراك، مما أثار المصريين ووصلهم وشاية عنه أنه يعتزم العصيان، فتقدموا إلى أهل دمشق بالخروج من طاعته، فسار عنها إلى حلب وتوفي فيها بعد شهر.

♦ **أخبار ثمال بن صالح بن مرداس في حلب:**

يذكر ابن الأثير وأبو الفدا أنه ما أن علم ثمال معز الدولة بخبر موت الدزبري، حتى جاء إلى حلب فملكها، لكن ابن الأثير يذكر أيضا أن ثمال قد حاصر زوجة الدزبري وأصحابه بالقلعة أحد عشر شهراً وملكها في صفر سنة ٤٣٤هـ، وبقي فيها إلى سنة ٤٤٠هـ فأنفذ إليه المصريون أبا عبد الله ناصر الدولة بن حمدان، فخرج أهل حلب إلى حربه فهزمهم، واختنق منهم بالباب جماعة، ثم عاد إلى مصر وأصابهم سيل كثير أذهب كثيراً من دوابهم وأثقالهم.

أعاد المصريون جيشاً آخر إلى قتال معز الدولة بقيادة خادم اسمه رفق، هزمه أهل حلب وأسروه، ومات عندهم سنة ٤٤١هـ، ثم إن معز الدولة أرسل الهدايا إلى المصريين، وأصلح أمره معهم ونزل لهم عن حلب.

♦ **تسلم ابن ملهم (مكين الدولة) حلب من ثمال (معز الدولة)** :

بعد الصلح الذي جرى بين ثمال والمصريين، أرسل المصريون ابن الملهم ليتسلم حلب من ثمال في ذي القعدة سنة ٤٤٩هـ، بعدها سار ثمال إلى مصر، وسار أخوه عطية إلى الرحبة، لكن ابن ملهم يُجابه ببعض الأحداث بين أحداث حلب وأبنائها الذين كاتبوا محمود بن شبل الدولة يستدعونه إلى حلب. هذه الرواية ينفرد بها ابن الأثير فقط.

♦ **أخبار محمود بن شبل الدولة في حلب**:

بعد مكاتبة أهل حلب إلى محمود يأتي إلى حلب ويحاصر ابن ملهم، وصلت الأخبار إلى المصريين فسيروا ناصر الدولة أبا علي ابن ناصر الدولة الحمداني، وبعد دخول محمود باثنين وثلاثين يوماً، فما أن قارب العسكر المصري حتى هرب محمود من حلب إلى البرية، واختفى أحداث حلب جميعهم معه (يتفق ابن الأثير وأبي الفدا على هذه الرواية) .

لكن ابن الأثير ينفرد بأن عطية بن صالح كان نازلاً بالقرب من البلد (اعتقادي أنها حلب) ، فكره فعل ابن أخيه محمود، حيث استطاع ابن ملهم أن يقبض على مائة وخمسين من الأحداث، ونهب وسط البلد، وأخذ أموال الناس، أما ناصر الدولة فقد سار في طلب محمود فالتقيا في الفنيدق في رجب سنة٤٥٠هـ فانهزم أصحاب ناصر الدولة ابن حمدان، وجرح وحمل إلى محمود أسيرا، فأخذه وسار به إلى حلب مالكا لها ولقلعتها في شعبان سنة٤٥٢هـ.

♦ **عودة ثمال وابن حمدان وابن ملهم إلى حلب**:

جهز المصريون جيشاً بقيادة ابن حمدان وابن ملهم بعد أن أطلق محمود سراحهم ومعهم ثمال ابن صالح بن مرداس لقتال محمود فحاصروه في حلب في ذي الحجة سنة٤٥٢هـ، وهذه الرواية متفق عليها بين ابن الأثير وأبي الفدا، أما ابن الأثير فينفرد بذكر أن محمود استنجد بخاله منيع بن شبيب بن وثاب النميري صاحب حران، فجاء إليه، فسار ثمال إلى البرية سنة ٤٥٣هـ، بعدها عاد منيع بن شبيب إلى حران، فعاد ثمال إلى حلب وملكها وقاتل محمود وهزمه،الذي غادرها إلى أخواله في حران من بني نمير، وتسلَّم ثمال حلب في ربيع الأول سنة ٤٥٣هـ، وخرج إلى الروم فغزاهم، ثم توفي في حلب، وقد كان كريماً حليماً توفي ٤٥٤هـ.

♦ **أخبار عطية بن صالح ومحمود بن شبل الدولة في حلب:**

ثمال يوصي بحلب لأخيه عطية فملكها، ونزل به قوم من التركمان فقوي بهم،وفي النهاية يغير عليه بعض أصحابه، فقتلوا جماعة منهم، ونجا الباقون، فيذهب هؤلاء إلى محمود وحاصروا حلب وملكوها، وأما عطية فذهب إلى الرقة فملكها، ولم يزل بها حتى أخذها منه شرف الدولة مسلم بن قريش سنة ٤٦٣هـ، هذه الرواية مذكورة عند ابن الأثير فقط.

أما أبو الفدا فيذكر أن محموداً بقي حاكماً لحلب من أواخر سنة ٤٥٤هـ إلى٤٦٨هـ وبعد وفاته استلم ابنه نصر الذي قتله التركمان، ثم استلم بعده سابق بن محمود الذي أخذها من شرف الدولة (مسلم بن قريش) صاحب الموصل يعني أن صاحب الموصل شرف الدولة أخذ حلب من سابق بن محمود وليس من محمود.

كذلك يذكر ابن الأثير أن محموداً سار إلى طرابلس فحاصرها، وأخذ من أهلها مالاً وعاد،ثم بعدها أرسل محمود رسالة مع ابن خان أمير التركمان إلى السلطان ألب ارسلان،ومات محمود في حلب سنة ٤٦٨هـ، ووصى بعده لابنه مشيب بالحكم، ولكن أصحابه لم ينفذوا وصيته هذه لصغر سنه،ولكنهم سلموا الحكم إلى ولده الأكبر نصر الذي جده لأمه الملك العزيز ابن جلال الدولة بن بويه، ويذكر ابن الأثير كذلك أن محموداً كان قد تزوج أم نصر عند دخولهم مصر لما ملك أرطغول بك العراق.

ابي الفدا يذكر أن التركمان قد قتلوا نصراً ووضعوا محله أخاه سابقاً، لكن ابن الأثير يذكر أن نصرا كان كثير الشرب مدمناً، فحمله السكر على أن يخرج إلى التركمان الذين ملكوا أباه، وهم بالحاضر يوم الفطر فلقوه وقبلوا الأرض بين يديه، فسبهم وأراد قتلهم فرماه أحد التركمان بنشابة فأرداه قتيلا، وأعطوا الملك لأخيه سابقاً، وهو الذي كان أبوه قد أوصى له بحلب.

♦ **أخبار سابق بن محمود:**

عندما استلم الحكم سابق بن محمود وحكم حلب صعد القلعة، استدعى أحمد شاه مقدم التركمان وخلع عليه، وأحسن إليه وبقي فيها إلى سنة ٤٧٢هـ، ويذكر ابن الأثير أن تتش بن ألب ارسلان حاصر سابق في حلب أربعة أشهر ونصف ثم رحل،ويتفق أبو الفدا وابن الأثير أن شرف الدولة نازل سابقاً في حلب، فأخذها منه.

♦ **أخبار السلاجقة:**

ابن الأثير يمر مراً سريعاً على أرطغول بك (التتار) في العراق، وعندما تزوج محمود من أم نصر أثناء وجود أرطغول بك في العراق، ويذكر أن محموداً يستنجد بأخواله آل نميري منيع ابن شبيب صاحب حران، وينفرد لوحده في هذه الرواية.

ومن خلال هذه الدراسة المقارنة عرفنا أن بلاد الشام في تلك الفترة كانت مقسمة إلى دويلات، وأن النزاع كثيراً ما كان يدب بن أفراد العائلة الواحدة.

الأمراء المرداسيون الذين تعاقبوا على حكم مدينة حلب:

- **أسد الدولة صالح بن مرداس:**

وهو أسد الدولة صالح بن مرداس بن إدريس الكلابي، أبو علي: أمير بادية الشام، وأول الأمراء المرداسيين بحلب. كان مقامه في أطراف حلب. وثار في الرحبة، فاستولى عليها وكاتبه الحاكم بأمر الله الفاطمي بلقب (أسد الدولة)، ثم امتلك حلب سنة ٤١٧هـ وامتد ملكه منها إلى عانة. وقوي أمره فحاربه الظاهر الفاطمي صاحب مصر، واستمرت الوقائع إلى أن قتل أسد الدولة في مكان يعرف بالأقحوانة على الأردن بالقرب من طبرية، وكان من دهاة الأمراء وشجعانهم.[٤٨]

- **شبل الدولة نصر الأول:**

وهو نصر بن صالح بن مرداس الكلابي، أبو كامل، شبل الدولة، صاحب حلب. استولى عليها بعد أن قتل أبوه في موقعة (الأقحوانة) سنة ٤٢٠ هـ. حارب الروم وكانوا بأنطاكية فتغلب عليهم. استقل بإمارته فسير إليه المستنصر الفاطمي جيشا بقيادة أنوشتكين أمير دمشق فقتل في المعركة، واستولى أنوشتكين على حلب وأعمالها. وكان بعد أن قتل أبوه قد تقاسم الأمر بينه وبين أخيه ثمال حيث حكم ثمال في قلعة حلب وحكم نصر على سائر المدينة، حتى وقع بينهم الشقاق، وانتهى بسيطرة نصر على مدينة حلب وقلعتها بالكامل وذلك سنة ٤٢١هـ[٤٩]. وكان وزيره أبو الفرج المؤمل بن يوسف الشماس، الذي ينسب إليه حمام الشماس بحلب[٥٠] وكان نصرانياً، وكان حسن التدبير محبا لفعل الخير[٥١].

- **معز الدولة ثمال بن صالح:**

هو ثمال بن صالح بن مرداس الكلابي. أبو علوان، معز الدولة، من ملوك الدولة المرداسية بحلب[٥٢]. كان كريماً. شجاعاً، حليماً وقوراً[٥٣] ولي الملك سنة ٤٣٣هـ، فسير إليه الفاطميون ثلاثة جيوش قاتلها ثمال وردها، ثم كاتب المستنصر بالله الفاطمي، وبعث إليه بهدايا ثمينة، ونزل له عن حلب وسلمها إلى مكين الدولة الحسن بن علي بن ملهم، وقد ولاه المستنصر عاملاً له عليها. ورحل ثمال إلى مصر سنة ٤٤٩هـ، وفي سنة ٥٤٢هـ ثار محمود بن نصر بن مرداس على مكين الدولة واستولى على حلب فعاد الفاطميون على ثمال

يفاوضونه في استرداد حلب من ابن عمه محمد بن نصر، فزحف بجيش من مصر فملكها ثانية سنة ٤٥٤هـ واستتب له الأمر. وفي سنة ٤٥٤هـ التقى معز الدولة مع ملك الروم في مدينة (ارتاح) من أعمال حلب، وانتصر عليه وغنم وسبى كثيراً حتى بيعت السرية الحسناء من الروم بمائة درهم[٥٤].

وكان ثمال المرداسي كريماً معطاءً حليماً، فمما يحكى من كرمه: أن العرب اقترحوا مضيرة[٥٥] فتقدم إلى وكيله أن يطبخها لهم، وسأله: «كم ذبحت لأجلها؟» فقال: «سبعمائة وخمسين رأسا». فقال: «لو أتممتها ألفا لوهبت لك ألف دينار»[٥٦].

♦ **رشيد الدولة محمود بن نصر:**

هو محمود بن نصر بن صالح بن مرداس الكلابي. أحد الأمراء المرداسيين، أصحاب حلب[٥٧]. تولى حكم حلب سنة ٤٥٢هـ، ووجهت إليه حكومة مصر عمه ثمال بن صالح المرداسي، فانتزعها منه سنة ٤٥٤ هـ وتوفي ثمال بعد عام، فوليها عطية بن صالح، فأغار عليه محمود فانتزعتها منه، وقوي أمره واصفاً له جوها، فاستمر إلى أن توفي[٥٨].

كان شجاعاً فيه حزم. قال ابن العماد صاحب شذرات الذهب: كان يداري المصريين والعباسيين لتوسط ملكه بينهما[٥٩].

♦ **عطية بن صالح:**

هو عطية بن صالح بن مرداس الكلابي. أبو ذؤابة، ويلقب بأسد الدولة. أمير من بني مرداس، كانت له حلب، تولاها استقلالا بعد وفاة أخيه (ثمال) سنة ٤٥٤ هـ وبعهد منه[٦٠].

حدثت في أيامه فتنة بين أهل حلب والترك المقيمين فيها وأكثرهم من جنده، فخرج رؤساء الترك إلى حران، وفيها محمود بن نصر بن صالح بن مرداس ابن أخي عطية، فأعانوه على مهاجمة عمه عطية، فامتلكها سنة ٤٥٧ هـ ولحق عطية بالرقة فملكها مدة، وتغلب عليه شرف الدولة مسلم بن قريش سنة ٤٦٣ هـ فانصرف عطية إلى بلاد الروم فمات بالقسطنطينية[٦١]. وقد حاصر الرحبة سنة ٤٥٢هـ وضيق عليهم فتملكها[٦٢].

♦ **جلال الدولة نصر الثاني:**

هو نصر بن محمود بن نصر بن صالح بن مرداس الكلابي. جلال الدولة. أمير حلب. وليها بعد وفاة أبيه سنة ٤٦٧ هـ. هاجم قلعة منبج، واستولى عليها وكانت في أيدي الروم. قتله بعض الأتراك بعد سنة من حكمه[٦٣].

♦ **سابق بن محمود:**

هو سابق بن محمود بن نصر بن صالح بن مرداس الكلابي. آخر الأمراء المرداسيين بحلب. تولاها سنة ٤٦٨ هـ بعد أن قتل الترك أخاه نصراً[٦٤].

كان ضعيفاً في السياسة، أراد مصانعة الترك فوصلهم بالعطايا، ولان لهم فازدروه، وكثر الطامعون من السلاجقة وغيرهم بملك حلب في أيامه حتى استولى عليها شرف الدولة مسلم بن عقيل سنة ٤٧٢هـ، وحاصر سابقاً في القلعة، ثم استسلم له سنة ٤٧٣هـ، وانقرضت باستسلامه دولة آبائه[٦٥].

الخاتمة:

إن التاريخ الإسلامي حافل بكثير من القصص والأخبار والوقائع، وفيه بالإضافة إلى هذا كثير من الانتصارات والهزائم، وان انتصاراته كانت دائماً مقترنة بالوحدة والاتحاد والتعاضد، أما هزائمه فإنها كانت دائماً نابعة من التفرق والتشرذم والخلافات بين أبناء البلد الواحد والدين الواحد على السلطة والحكم ومناطق النفوذ، ولذلك فان دراستنا للتاريخ يجب أن تكون دراسة الناقد المتفحص الذي يمحص كل ما يقرأ، ولا يتلقى دون أي دراسة أو تمييز للصحيح أو الخطأ. إننا لا نقرا التاريخ، ولو قرأناه جيداً لاتعظنا منه، ولربما كان وضعنا أفضل بكثير عما هو عليه الآن، هذا البحث تناول دولة قامت في فترة تاريخية اتسمت بالتشرذم والانقسام والحروب بين المسلمين بعضهم ببعض وبين المسلمين والقوى الطامعة بهم كالبيزنطيين على سبيل المثال. لقد كان بروز المرداسيين وتأسيس إمارتهم جزءاً من حركة شاملة للقبائل العربية التي توسعت في حضورها ونفوذها في بلاد الشام، في مرحلة ضعف السلطة المركزية الإسلامية. ولقد نشأ تحالف ضم أبرز رموز القبائل العربية في بلاد الشام، وكان غرضه السيطرة على هذه البلاد وإقامة إمارات مستقلة.

ومن الملاحظ أن المرداسيين استغلوا الأوضاع التي كانت سائدة في ذلك الحين لإقامة دولتهم، بل كان لهم يد فيها كإثارة القلاقل والثورات التي كانت تقوم بها القبائل ضد الولاة والنواب في تلك المناطق، ومن ثم استغلال تلك الحوادث والاستفادة منها في تحقيق المكاسب على الأرض من حيث السيطرة وتوسيع مناطق النفوذ، ومن ثم إقامة التحالفات لمواجهة السلطة المركزية والاستقلال عنها. ختاماً ومن خلال هذه الدراسة المقارنة عرفنا أن بلاد الشام في تلك الفترة كانت مقسمة إلى دويلات، وان النزاع كثيراً ما كان يدب بن أفراد العائلة الواحدة.

الهوامش:

١. عبد المولى، محمد أحمد: بنو مرداس الكلابيون في حلب وشمال الشام،دار المعرفة الجامعية،الإسكندرية،مصر،ط١، ١٩٨٥، ص ١١.

٢. نفس المصدر السابق، ص١٢.

٣. أنوشتكين الدزبري: وهو نائب الفاطميين في بلاد الشام، وقد حارب المرداسيين وانتصر على الأمير نصر المرداسي وقتله، وقد فعل ذلك دون علم الفاطميين وإنما بالتعاون مع البيزنطيين...انظر:– المرداسيون في حلب ،ص٢١

٤. ابن أبي جرادة ، كمال الدين عمر بن أحمد: زبدة الحلب من تاريخ حلب، تحقيق سهيل زكار، دار العلم للملايين، بيروت ج ١، ص ٢٢٣– ٢٢٤. راجع أيضاً: د. جوزيف عبد الله: تحقيقات في تاريخ عكار والقبيات ، ص٥٢.

٥. زبدة الحلب من تاريخ حلب: ص٥٣.

٦. ابن كثير، أبو الفدا الحافظ: البداية والنهاية ، ط١، ١٩٨٨، دار الريان للتراث، القاهرة، ج ١٢ ، ص٢٩.

٧. القرماني، أبو العباس أحمد بن يوسف بن أحمد الدمشقي: أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ،١٩٨٠،عالم الكتب،بيروت،ص٢٨٢.

٨. عبد المولى،محمد أحمد: بنو مرداس الكلابيون في حلب وشمال الشام،دار المعرفة الجا معية،الإسكندرية،مصر،ط١،١٩٨٥،ص١١

٩. محمد، محمد مرسي الشيخ: الإمارات العربية في بلاد الشام: ص٢١.

١٠. وهو مؤسس الدولة الإخشيدية عام٣٢٣هـ/٩٣٥م والتي استمرت حتى عام٣٥٨هـ/٩٦٩م، والإخشيد لقب تركي كان يلقب به، وتعد دولته ثاني دولة مستقلة عرفتها مصر الإسلامية في العصر العباسي، وقد حارب الفاطميين أثناء محاولاتهم غزو مصر في تلك الفترة....انظر:– العبادي،أحمد مختار: في التاريخ العباسي، ص١٤٠

١١. وهو شيخ عشائر كلاب.

١٢. عبد المولى: المرداسيون في حلب، ط١، مكتبة سعد الدين، دمشق ١٩٨٨، ص ٣٢.

١٣. محيي الدين، وضاح: المرداسيون في حلب، ط١، مكتبة سعد الدين، دمشق ١٩٨٨، ص٣٢.

١٤. القلقشندى، أبو العباس أحمد بن علي: صبح الأعشى في صناعة الانشا، ج٤، المؤسسة المصرية العامة ، القاهرة ١٩٨٠، ، ص٢٤٢

١٥. القرماني، أبو العباس أحمد بن يوسف بن أحمد الدمشقي: أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، عالم الكتب،بيروت١٩٨٠،،ص٢٨٢.

١٦. محيي الدين، وضاح: المرداسيون في حلب: ص٥

١٧. نفس المصدر السابق، ص٦

١٨. ابن أبي جرادة: زبدة الحلب من تاريخ حلب،ص٢١٠وص٢١١، وانظر:- المرداسيون في حلب: ص٧

١٩. زبدة الحلب: ص٢١١.

٢٠. المصدر السابق: ص٢١١.

٢١. الدزبري ترجمة في المقفى للمقريزي ، ج٢ ، ص٣٠٢- ٣٠٦.

٢٢. بلدة السلمية: في الشمال السوري

٢٣. لطمين: في الشمال السوري

٢٤. زبدة الحلب: ص٢١٣؛ القرماني: أخبار الدول وآثار الأول، ص٢٨٢.

٢٥. المصدر السابق: ص٢١٤.

٢٦. المصدر السابق: ص٢١٤، وانظر: المرداسيون في حلب: ص٧.

٢٧. زكار، سهيل: إمارة حلب، ط١، ١٩٩٥، مكتبة سعد الدين، دمشق، ص١٠٩- ص١١١؛ زبدة الحلب، ص٢١٥- ص٢٢١.

٢٨. المصدر السابق: ص١١٦

٢٩. المرداسيون في حلب، ص٧

٣٠. نسبة إلى بلدة يازور بفلسطين

٣١. المرداسيون في حلب، ص٨.

٣٢. المصدر السابق، ص٩.

٣٣. البساسيري: وهو أبو الحارث أرسلان البساسيري، كان في الأصل غلاما تركيا للسلطان بهاء الدولة البويهي أثناء سيطرة البويهيين على الخلافة العباسية،اخذ يتنقل في وظائف الدولة إلى أن عينه الخليفة العباسي القائم قائدا لحرسه وقربه إليه حتى ازداد نفوذه وكبر بعد ذلك...انظر:- في التاريخ العباسي،ص١٨١.

٣٤. ألعبادي، أحمد مختار: في التاريخ العباسي، ط٢، ١٩٨٩، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ص١٨٢.

٣٥. المرداسيون في حلب: ص٣٥

٣٦. عبد المولى، د.محمد أحمد: بنو مرداس الكلابيون في حلب وشمال الشام، ص

٣٧. المرداسيون في حلب: ص١٢

٣٨. المرجع السابق، ص١٣

٣٩. الصالح، محمود: النبأ اليقين عن العلويين، مكتبة المتنبي، القاهرة،ط١، ١٩٨٩م، ص٣٧.

٤٠. المصدر نفسه، ص٥٤٢.

٤١. أبو جرادة، عمر بن أحمد: زبدة الحلب من تاريخ حلب: ص٢٠٤.

٤٢. المصدر نفسه، ص٢٠٥.

٤٣. المصدر نفسه، ص٢٠٥.

٤٤. المصدر نفسه، ص٢٠٦.

٤٥. المصدر نفسه، ص٢٥٣.

٤٦. أبي الفدا، ص١٤٢" مأخوذه من النص المقترح للتحليل.

٤٧. ابو جرادة ص٢٥٤؛ وانظر أيضا:- زبدة الحلب من تاريخ حلب، ص٢٦٥.

٤٨. ابن الأثير: ج٩، ص٧٢و٧٨؛ الزر كلي: الاعلام٢٨٢

٤٩. زبدة الحلب من تاريخ حلب، ص٢٠٥.

٥٠. الاسدي، خير الدين: حلب وأسواقها، ط١، ١٩٨٤م، دمشق، ص١٦٤.

٥١. زبدة الحلب، ص٢٠٥.

٥٢. القرماني: أخبار الدول وآثار الأول.،ص٢٨٢؛ وانظر أيضا:- زبدة الحلب في تاريخ حلب، ص٢٢٢- ٢٤٦.

٥٣. ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٢، ص٩٤.

٥٤. المصدر نفسه، ص٩٤.

٥٥. المضيرة: أن تطبخ اللحم باللبن...انظر زبدة الحلب، ص٢٣٠.

٥٦. زبدة الحلب، ص٢٣٠

٥٧. المرداسيون في حلب، ص٥٥.

٥٨. البداية والنهاية، ج١٢، ص٩١.

٥٩. المصدر نفسه، ص٥٥.

٦٠. المرداسيون في حلب، ص٣٦.

٦١. المصدر نفسه، ص٣٧.

٦٢. حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام ١٩٨٢م، مكتبة النهضة المصرية، ج١،ص١٧٣.

٦٣. المرداسيون في حلب، ص٣٩.

٦٤. المرداسيون في حلب، ص٤١.

٦٥. المصدر نفسه، ص٤٢.

المصادر والمراجع:

١. الأسدي، خير الدين: حلب وأسواقها، دمشق، ط١، ١٩٨٤م

٢. ابن أبي جرادة، كمال الدين عمر بن احمد: زبدة الحلب من تاريخ حلب، تحقيق سهيل زكار، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٨.

٣. ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد، الكامل في التاريخ، تحقيق أبو الفداء عبد الله القاضي، ط١، دار المكتبة العلمية، بيروت، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.

٤. ابن كثير، أبو الفداء الحافظ: البداية والنهاية، دار الريان للتراث، القاهرة، ط١، ١٩٨٨.

٥. ابي الفدا، عماد الدين إسماعيل أبي الفدا، المختصر في تاريخ البشر، ج٢، الطبعة الأولى، المطبعة الحسينية المصرية

٦. الزر كلي، خير الدين، الاعلام، ط١٥، دار العلم للملايين، بيروت ٢٠٠٢

٧. القرماني، أبو العباس احمد بن يوسف بن احمد الدمشقي: أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، عالم الكتب، بيروت،.١٩٨٠

٨. عبد المولى، محمد احمد: بنو مرداس الكلابيون في حلب وشمال الشام، دار المعرفة الجامعية،الإسكندرية، مصر، ط١، ١٩٨٥.

٩. ألعبادي، احمد مختار: في التاريخ العباسي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ط٢، ١٩٨٩

١٠. حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٨٢م.

١١. حلمي، د.أحمد كمال الدين: السلاجقة في التاريخ والحضارة، دار السلاسل الكويت، ط٢ ،١٩٨٦م.

١٢. الرفاعي، أنور، الإسلام في حضارته ونظمه، دار الفكر؛ دمشق، ١٩٨٢م.

١٣. زكار، سهيل: إمارة حلب، مكتبة سعد الدين، دمشق، ط١، ١٩٩٥

١٤. شبارو، عصام محمد، السلاطين في المشرق العربي، دار النهضة العربية، لبنان، ط١، ١٩٩٤م.

١٥. الصالح، محمود: النبأ اليقين عن العلويين، مكتبة المتنبي، القاهرة، ط١، ١٩٨٩م.

١٦. الصلابي، على محمد: دولة السلاجقة، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ط١، ٢٠٠٦م.

١٧. طقوش، محمد سهيل، تاريخ السلاجقة في بلاد الشام، دار النفائس، بيروت، ط١، ٢٠٠٢م.

١٨. محمد، محمد مرسي الشيخ: الإمارات العربية في بلاد الشام، الهيئة المصرية العامة للكتاب الاسكندرية، ١٩٨٠م.

١٩. مراد، مصطفى، أخطاؤنا في العبادات والمعاملات، دار الفجر للتراث، القاهرة، ٢٠٠٥م.

٢٠. محيي الدين، وضاح: المرداسيون في حلب، مكتبة سعد الدين، دمشق، ط١، ١٩٨٨م.